الليل في القران الكريم

د/ صالح قاسم احمد الخمري

جهة النشر جامعة الملكة أروى

copyrights©2013

د. صالح قاسم أحمد الخمري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل : ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** ﴾ ([1]) والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم القائل:" شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس "([2])

وبعد:

فإن الليل يمثل شطر عمر الإنسان على هذه البسيطة تقريباً، ولذلك فهو محل عناية الله سبحانه وتعالى بعباده الصالحين الأبرار الأخيار، ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الشريفة التي ورد فيها ذِكر الليل، وأهله، والأعمال الجارية فيه من قيام وركوع وسجود، وخضوع لله سبحانه وتعالى ينال أهلها من الله الأجر العظيم ، والثواب الجزيل، وبالمقابل فإنه سبحانه وتعالى يخبرنا عن مصارع أقوام خالفوا أوامر الله تعالى فخسف بهم الأرض ليلاً، لما سبق جاء هذا البحث المتواضع لينير درب السائرين إلى الله ليلاً، ونهاراً وكيف أن الليل محل الكثير من الأعمال الصالحة المقربة إليه تعالى، والمنجية من عذابه، وكذا الليل في زماننا الحاضر لا قيمة له مع الأسف الشديد عند كثير من أبناء هذه الأمة المباركة العظيمة، بل إن الكثير منهم يحوله إلى وقت للفسق والفجور، واقتراف الكثير من المعاصي والآثام ولاسيما الليالي المباركة كليالي الجمعة ، والأعياد الدينية العبادية.

ورغبة من الباحث في الوقوف على هذا الجزء العظيم والمهم من حياة الناس فقد جاء هذا البحث ليقدم للقارئ الكريم وجبة روحية مستقاة من كتاب الله تعالى ليرقى بنفسه إلى الفردوس الأعلى إن شاء الله، وليكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ ([3]).

ولتلتفت الأمة إلى ضرورة الاستفادة من هذا الوقت الثمين لتفوز في الدنيا و**الآخرة بما يرقى بها في مدارج العُلى أفراداً وجماعات .**

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتسعة مباحث، وخاتمة، وتوصيات تناولت مباحثه على النحو الآتي:

---

(1) الذاريات الآية:(17).

(2) رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، انظر : الترغيب والترهيب (318/317/1)، حديث رقم:(934)

(3) الذاريات الآية:(17).

1. **المبحث الأول** : وتناولت فيه بيان أوصاف الليل وفيه اثني عشرة فرعاً.
2- **المبحث الثاني** : وبينت فيه أهمية الليل في القرآن الكريم بذكر قسم المولى تعالى في سبعة فروع.
3. **المبحث الثالث** : وتناولت فيه بيان ألفاظ تعاقب الليل والنهار وفيه خمسة فروع.
4. **المبحث الرابع** : ووضحت فيه اقترن الليل بالأعداد في القرآن الكريم .وفيه أربعة فروع.
5. **المبحث الخامس** : وتناولت فيه وصف الله أنبياءه ورسله عليهم السلام وعباده الصالحين ليلاً في خمسة فروع .
6. **المبحث السادس** : **أوضحت فيه** استخدام الليل في الدعوة إلى الله والإنفاق في سبيل الله ، وفيه فرعان.
7. **المبحث السابع** : وتناولت فيه بيان الإسراء ليلاً في القرآن الكريم .
8. **المبحث الثامن** : **وتناولت فيه بيان عضات** الليل وعبره في القرآن الكريم وفيه خمسة فروع.
9. **المبحث التاسع** : **وفيه ذكرت بيان** عقوبات الليل كما وردت في القرآن الكريم وفيه خمسة فروع.

وفي الخاتمة تناولت مجمل ما ورد في هذا البحث ، وأردفتها بالتوصيات المتعلقة به أوضحت فيها باختصار بعض ما يرغب الباحث إيصاله إلى كل قارئ بل إلى كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، ليكون دليلاً له إلى الاستفادة من هذا الوقت الثمين "الليل" الذي غالباً ما يذهب سدى على كثير من الخلق ، ولاسيما أمة التوحيد أمة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه ، الذين ينبغي أن يكونوا عند مستوى المسئولية التي حملهم الله إياها في الدنيا ليكونوا كما قال الله عزوجل : **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾** (4)

وختاماً أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كل من قرأه أو وقف عليه ، شاكراً لكل من ساهم معي في انجازه خير الجزاء والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الباحث: صالح قاسم أحمد الخمري.
التاسع من ذي الحجة الحرام 1433هـ
الموافق 25/ اكتو بر 2012م .

(4) البقرة الآية:(143).

المبحث الأول : أوصاف الليل

لما كان الإنسان ينشغل في النهار بأعمال المعيشة والجهاد في سبيل عيش كريم جعل الله النهار مبصراً وجعل الليل سكنا فعندما يعود الإنسان من العمل والتعب والجهد جعل الله له الليل محلاً لراحته يعوض فيه ويرتاح من مشقة النهار، لأن في الليل راحة للنفس وفيه وقت هادئ جداً فجعل الإنسان يركز فيه لطاعة ربه وعبادته، فكلما تعب الإنسان وجد لذةً للعبادة ويكتب له الأجر المضاعف كما تزده قوة في إيمانه وبدنه، وهذا ما تحدث عنه القرآن في هذا المبحث.

الفرع الأول: ساعات الليل وثقل الصلاة فيها: قال الله تعالى : **﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾** ([5]). ذكر العلماء رحمهم الله في معنى الناشئة سبعة أقوال :

الأول أنه النفس الناشئة بالليل ، أي التي تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة.

: الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة .

الثـــاني: العبادة الناشة بالليل أي تحدث فيه .

الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة.

الثالـــث: الناشئة القيام أو الليل بعد العشاء.

الرابـــع: الناشئة بعد المغرب والعشاء.

الخامس: ناشئة الليل ساعاته كلها ([6]).

السادس:

الســابع:

على كل الأقوال يتضح لنا أن الناشئة هي القيام للعبادة سواء أول الليل أو أخره أو أي ساعة من ساعاته، والتركيز، فيها كما فيها عون للمؤمن للصلة بربه .**ومعنى قوله تعالى:﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾** يحتمل معنيين:

أحدهما : أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ..**اللهم أشدد وطأتك على مضر** »([7]). ، والأثقل أعظم أجراً ، فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر .

الآخـر: أشدّ ثبوتاً من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ([8]).

---

(5) المزمل الآية:(5-7).
(6) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - (1 / 2497).
(7) أخرجه البخاري، (6 / 2542)، برقم:(93)، كتاب الإكراه .
(8) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - (1 / 2497).

وَنَاشِئَةُ اللَّيْلِ فِي أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ: إنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ النَّوْمِ، يُقَالُ نَشَأَ إذَا قَامَ بَعْدَ النَّوْمِ؛ فَإِذَا قَامَ بَعْدَ النَّوْمِ كَانَتْ مُوَاطَأَةُ قَلْبِهِ لِلِسَانِهِ أَشَدَّ لِعَدَمِ مَا يَشْغَلُ الْقَلْبَ، وَزَوَالِ أَثَرِ حَرَكَةِ النَّهَارِ بِالنَّوْمِ، وَكَانَ قَوْلُهُ أَقْوَمُ ([9]).

<u>الفرع الثاني</u>: جعل الله الليل سكن : من رحمته سبحانه أن جعل للإنسان وقتاً يسكن فيه وهو الليل ويقر عينه و يستعيد النشاط فيه ولهذا كان الليل آية من آياته سبحانه.

قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾**([10]). معنى قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾** " يعني: خلق لكم الليل لتقروا فيه من النصب والتعب **﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾** يعني: خلق النهار مطلبا للمعيشة ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ**﴾ يعني في تقلب الليل والنهار **﴿لَآيَاتٍ﴾** يعني: لعبرات وعلامات لوحدانية الله**﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** يعني:المواعظ([11]). وقال تعالى: **﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** ([12]).

معنى قوله تعالى:**﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ﴾** نعمته **﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾** خلق لكم ﴿**اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾** لتستقروا في الليل ﴿**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾** لكي تطلبوا بالنهار فضله بالعلم والعبادة **﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** لكي تشكروا نعمته عليكم بالليل والنهار ([13]). كما أن الليل سكن فهذا تفضلاً منه سبحانه على عباده ومن ذلك أيضاً ، قوله تعالى : **﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾** ([14]).

أي أن الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه، وتحققوا راحتكم فيه، والنهار مضيئًا؛ لتُصَرِّفوا فيه أمور معاشكم. إن الله لذو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة ([15]) .وقال تعالى: **﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾** ([16]).([17]).وقال تعالى : **﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ**

---

(9) ينظر: الفتاوى الكبرى - (2 / 207).
(10) يونس الآية:(67).
(11) ينظر: بحر العلوم - (2 / 124) .
(12) القصص الآية:(73).
(13) ينظر: تنوير المقباس – لابن عباس رضي الله عنهما (1 / 411).
(14) غافر الآية:(61).
(15) ينظر: التفسير الميسر - (8 / 352) مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف http://www.qurancomplex.com
(16) الأنعام الآية:(96).
(17) وفي هذا المعنى الكثير من الآيات الشريفة منها قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ } [يونس : 5] ، وقوله : { وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا } [الأنعام : 96] ، وقوله : { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } [الرحمن : 5] ، وقوله : { وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ } [يس : 39] ، وقوله : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } [البقرة : 189] ،دليل على توقيت ما فيها من التوقيت للسنين والحساب، فقوله : { لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ } إن علق بقوله : { وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ } كان الحكم مختصاً بالقمر،وإن أعيد إلى أول الكلام تعلق بهما،ويشهد للأول قوله في الأهلة فإنه موافق لذلك،ولأن كون الشمس ضياء والقمر نوراً،لا يوجب علم عدد السنين والحساب،بخلاف تقدير القمر منازل، فإنه هو الذي / يقتضي علم عدد السنين والحساب،ولم يذكر انتقال الشمس في البروج .ويؤيد ذلك قوله : { إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ } الآية [التوبة : 36] ،فإنه نص على أن السنة هلالية،وقوله : { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ } [البقرة : 197] ،يؤيد ذلك،لكن يدل على الآخر قوله : { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ } [الإسراء : 12] . مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) - (3 / 265).

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ([18]). ومعنى قوله تعالى : **﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾**. يعني مضيئا وأضاف الفعل إلى النهار ؛لأن الكلام يخرج مخرج الفاعل إذا كان هو سببا للفعل كما قال:

﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ([19]) **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** ([20]). يعني فيما ذكر من الليل والنهار لعبرات لقوم يصدقون بتوحيد الله تعالى ([21]).

<u>الفرع الثالث</u> : وصف الله الليل بأنه لباس : جعل الله الليلَ بظلامه ساتراً لكم ، كاللّباس الذي يغطي الجسمَ ويستُره ، فاللّيل شبيه باللّباس لأنه يستر الأشخاصَ بظُلمته([22]) كما قال تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾** ([23]).

أي : نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس ([24]).وقال تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾** ([25]). قال الإمام الماوردي رحمه الله فيه وجهان :**أحدهما:** سكناً ، قاله سعيد بن جبير رحمه الله والسدي رحمه الله **الآخر:** غطاء رحمه الله ؛لأنه يغطي سواده كما يغطى الثوب لابسه ، قاله أبو جعفر الطبري رحمه الله ([26]).

<u>الفرع الرابع</u> : وصف الله الليل بالتغطية والظلمة : ورد وصف المولى تعالى بالتغطية والظلمة في خمس آيات.

<u>الأولى</u>: قوله تعالى: **﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾** ([27]). أقسم الله عزوجل في هذه ا لآية بالليل إذا سجى **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾** أي سكن ، نقول: سجى البحر سجوا بمعنى: سكنت أمواجه، ومنه استعير تسجية الميت، أي تغطيته بالثوب ، . قال الفراء : "والليل إذا سجى: إذا أظلم وركد في طوله، كما تقول: بحر ساج وليل ساج، إذا ركد وسكن وأظلم" .

أشار الرازي – رحمه الله– إلى أن معنى "سجى" لدى أهل اللغة يدور حول ثلاثة معان متقاربة هي: "سكن، وأظلم، وغطى" ، ومن خلال النظر في الآيات السابقة يتضح أن القسم بأحوال الليل جاء مقرونا بالقسم بأحوال النهار، وذلك على النحو الآتي:

– **إدبار الليل جاء مقرونا بإسفار الصبح** كما قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ ، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾** ([28]).

– **وعسعسة الليل مقرونة بتنفس الصبح** قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾** ([29]).

---

(18) النمل الآية:(86).
(19) سبا من الآية:(33).
(20) النمل من الآية:(86).
(21) ينظر: بحر العلوم - (2 / 594).
(22) ينظر: تفسير القطان - (3 / 398).
(23) الفرقان الآية:(47).
(24) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - (5 / 512).
(25) النبأ الآية:(10).
(26) ينظر: تفسير الماوردى - النكت والعيون - (6 / 183).
(27) الضحى الآية:(1-2).
(28) المدثر الآية:(33-34).

– **وسريان الليل جاء مقرونا بالفجر ﴿وَالْفَجْرِ،وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾** ([30]).

– **وغشيان الليل جاء مقرونا بتجلي النهار** كما قال تعالى: **﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾** . ([31])

والليل إذا سجى : غطى بظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة ([32]).

ما اللمسة البيانية في كلمة ﴿سَجَى﴾ وليست في كلمتي غشي أو يسر ؟كما في قوله **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾** سبق القول أن من معاني سجى : سكن وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه وهذا هو السكون ، والانقطاع ظلمة ، وهذا المعنى الثاني لسجى فكلمة سجى جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسكونه. أما كلمة يغشى أو يسر فهما تدلان على الحركة وهذا يناقض المعنى للقسم في هذه السورة. وعليه فان القسم **﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾** هو انسب قسم للحالة التي هو فيها من نور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به. ([33]).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ([34]). **أصل الغسق** : الامتلاء. يقال : غسقت عينيه إذا امتلأت دمعاً ، وغَسَقُ الليل : انصباب ظلامه. وقوله : **﴿إِذَا وَقَبَ ﴾** أي : دخل ظلامه ، وإنما تعوَّذ من الليل ؛ لأنه صاحب العجائب، وقيل : الغاسق : القمر ، ووقوبه: دخوله في الكسوف واسوداده ، لِما روي عن أمنا عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، وقال : " تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب ([35]) " وقيل : وقوب القمر : محاقه في آخر الشهر ، والمنجِّمون يعدونه نحساً، ولذلك لا تستعمل السحرةُ السحرَ المُورث للمرض إلاَّ في ذلك الوقت والعياذ بالله ([36]).

الآية الثالثة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ([37]). أقسم سبحانه بالليل لكونه جليلا عظيما يسكن الخلق فيه عن الحركة ، ويغشاهم النوم الذي فيه راحة الأبدان ([38]). أقسم الله سبحانه بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها، وبالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضيائه، وبخلق الزوجين: الذكر والأنثى. إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة. ([39]).

الآية الرابعة: قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾** ([40])([41]). أي:يستر الشمس ويُظْلِمُ الأفاق ([42]).

---

(29) التكوير الآية:(17-18).
(30) الفجر الآية:(1-4).
(31) الشمس الآية:(3-4).
(32) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (5 / 585). والوقت وأهميته في حياة المسلم - (2 / 16).
(33) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم - (1 / 225).
(34) الفلق الآية:(3).
(35) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - (6 / 61)، برقم: (24368)، تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث حسن من أجل الحارث وهو ابن عبد الرحمن القرشي.
(36) ينظر: البحر المديد - (8 / 559).
(37) الليل الآية:(1-2).
(38) ينظر: الوقت وأهميته في حياة المسلم - (2 / 16).
(39) ينظر: التفسير الميسر - (10 / 492).
(40) الشمس الآية:(4).

الآية الخامسة: قال الله عزوجل : **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾** ([43]).

معنى قوله تعالى : **﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾** وهو زوالها عن كبد السماء ، وأشار بقوله: **﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾** وهو ظلامه إلى صلاة المغرب والعشاء؛ وأشار بقوله: **﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾** إلى صلاة الصبح ([44]).

<u>الفرع الخامس</u> : وصف الله الليل بطائفة أو بالجزء : قال تعالى: **﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾** ([45]). معنى قوله تعالى:﴿ **بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ**﴾ : بطائفة منه ([46]).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بطائفة من الليل، وقيل: ببقية من الليل ، وقال قتادة رحمه الله: بعد مضي صدر من الليل. وقال الأخفش رحمه الله : بعد جنح من الليل. وقال ابن الأعرابي : بساعة من الليل. وقيل : بظلمة من الليل. وقيل : بعد هدء من الليل ([47])، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أمر نبيه لوطاً صلى الله عليه وسلم أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولم يبين هنا هل هو من آخر الليل، أو وسطه أو أوله، ولكنه بين في "القمر" أن ذلك من آخر الليل وقت السحر، وذلك في قوله: **﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾** ([48]) ([49]).

<u>الفرع السادس</u> : وصف الله الليل بأنه يسير سيراً ويقبل ويدبر : المتأمل لوصف الله تعالى لسير الليل فإنه يسير سيراً ، ويقبل ويدبر عند ذهاب الليل وإقبال النهار ووصفه الله وكأنه يسير ويمشي سبحانه من عظيم الشأن فقال تعالى **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾** ([50]). يعني : ليل المزدلفة إذا مضى وذهب، ومعنى قوله

---

(41) (تغشاها) تحمل كل معاني الستر والأدب. فـ " الغشاء غطاء الشيء الذي يستره من فوقه، والغاشية الظلة تظله من سحابة أو غيرها، " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى " [الليل: 1] أي يحجب الأشياء ويسترها بظلامه. وتغشاها أتاها كغشيها ـ ويزيد ما يعطيه صيغة التفعُّل من جهد ـ وهو كناية نزيهة عن أداء وظيفة الزوجية، تشير إلى أن مقتضى الفطرة وأدب الشريعة فيها الستر ".[3]
إن هذا اللفظ كناية[4] تدل على الجماع، والقرآن كنّى بما يُستحيى منه في جميع آياته الكريمة ـ وليس في هذا الموضع فقط ـ وهذا أسلوب واضح لمن ينظر بعين الفحص الموضوعي إلى القرآن الكريم في جميع مواضعه التي تحدث فيها عن الجماع، والدخول إلى الخلاء..
فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ " الدخول، والتغشي، والإفضاء، والمباشرة، والرفث، واللمس: هذا الجماع. غير أن الله حيي كريم، يكني بما شاء عما شاء ".[5]
إن القرآن الكريم يكني في كل آياته عند الإشارة إلى ما يُستحيى منه، في بيئة لم يكن ذلك عيباً فيها.
بل هذَّب ألفاظ العرب، فاستبدل ما يُستحيى من ذكره، بلفظ لا يُستحيى منه، تعليماً لهم الأدب والرقي في الخطاب ـ كلفظ الغائط[6] ـ للتعبير عما يُستحيى من ذكره علناً أمام الملأ. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم - (1 / 464)
(42) ينظر: البحر المديد - (8 / 474).
(43) الإسراء الآية:(78).
(44) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (5 / 116-117).
(45) الحجر الآية:(65).
(46) ينظر: البحر المديد - (3 / 316).
(47) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (9 / 79).
(48) القمر من الآية:(34).
(49) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (12 / 49).
(50) الفجر الآية:(4).

تعالى: "يسر" إذا جاء وأقبل([51])، وعن مجاهد : إذا سار ([52])، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل، وأراد كل ليلة ([53]).

الفرع السابع : وصف الله الليل بالتولي : ويحدث ذلك عند انكشاف الظلام هنا نجد أن الليل يدبر يختفي فقال تعالى: **﴿والليلِ إذا أَدْبَرَ﴾** ([54]). وفيه معنيان: **أحدهما** : إذ ولّى ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، **الثاني** : إذ أقبل عند إدبار النهار قاله أبو عبيدة رحمه الله ، وقرأ الحسن رحمه الله، وأبو عبد الرحمن رحمه الله، إذا دبر ، وهي قراءة ابن مسعود وأُبي بن كعب رحمهم الله تعالى ([55])، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، **﴿والليلِ إذا أَدْبَرَ﴾** قال : دبوره ظلامه ([56]). يعني: أن الليل انقلب راجعا من حيث جاء، فانكشف ظلامه، وزال الجهل والريب والشك بانكشافه ([57]) .

الفرع الثامن: وصف الله الليل بالإدبار : مما سبق نجد أن لفظ:" يسر"، ولفظ:" أدبر"، ولفظ:" عسعس"، كلها توحي بإقبال الليل وإدبار النهار وإقبال الضوء واختفاء الظلام على كل المعاني فمعنى قوله تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾** ([58]) **أي:** أقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر إذ لفظ عسعس بمعنى أقبل وأدبر فهو لفظ مشترك بين الإقبال والإدبار.وعَسْعَسَ الذئب، أي طاف بالليل. ويقال أيضاً: عَسْعَسَ الليلُ، إذا أقبل ظلامه، واختلفوا فيها، فقال قوم: عَسْعَسَ الليلُ عَسعَسَةً إذا اعتكر ظلامه. وقال قوم: بل العَسْعَسَة إدبارُ الليل إذ استرق ظلامه ([59]) . وجاء في الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ –صلى الله عليه وسلم– يَقْرَأُ فِى الْفَجْرِ **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾** ([60]) .

الفرع التاسع: وصف الله الليل بالأناء والوقت قال تعالى: **﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾** ([61])([62]) .

قيل : للقنوت أربعة معان : ([63]) .

الأول: الصلاة . كما قال الله سبحانه وتعالى : **﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾** ([64]) .

الثاني: بمعنى طول القيام . كما جاء في الحديث عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « **أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ** »([65]) .

---

(51) ينظر: الوجيز للواحدي - (1 / 1199)،و تفسير ابن كثير - (8 / 394).
(52) الدر المنثور - (8 / 504).
(53) ينظر: تفسير البغوي - (8 / 417).
(54) المدثر الآية:(33).
(55) ينظر: تفسير الماوردى - النكت والعيون - (6 / 146).
(56) ينظر: الدر المنثور - (8 / 335).
(57) ينظر: الوقت وأهميته في حياة المسلم - (2 / 16).
(58) التكوير الآية:(17).
(59) ينظر: الصحاح في اللغة - (1 / 469) . لسان العرب - (6 / 139) جمهرة اللغة - (1 / 74).
(60) أخرجه مسلم - (2 / 39) برقم:(1051) ، باب الْقِرَاءَةِ فِى الصُّبْحِ.
(61) الزمر من الآية:(9).
(62) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (5 / 527).
(63) ينظر: شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا - (3 / 233- 234).
(64) الزمر من الآية:(9).
(65) أخرجه مسلم ، (2 / 175)، برقم:(1804) باب ، (22) - باب أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ.

الثالث: بمعنى الطاعة . كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ ([66]) .

الرابع: بمعنى السكوت . كما قال الله سبحانه وتعالى:﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ ([67]). وقيل : القانت الذاكر ، وليس السكوت تفسيرا للقنوت ، فيكون الساكت قانتا ، ولكن أمروا ، بالذكر وترك الكلام ، فقيل : أمرنا بالسكوت. وذكر معناه الخطابي ([68]) .

الفرع العاشر : وصف الله الليل بالناشئة وثبات العبادة فيها : قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ ([69]). وقد سبق الكلام حول لناشئة([70]).

الفرع الحادي عشر : وصف الله الليل بالزلف : أمر الله بإقامة الصلاة في جميع أوقاتها المعلومة وعبر عنها هنا بإقامتها في الصبح وفي الظهر والعصر وعبر عنها بالزلف قال تعالى : ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ ([71])([72]).

قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾ ([73])، لم يختلف أحد من أهل التأويل في أن الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة ؛ وخصها بالذكر ؛لأنها ثانية الإيمان، وإليها يفزع في النوائب ؛ وكان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. وقوله ﴿**وَزُلَفًا**﴾ من الليل: المغرب والعشاء، وقوله تعالى : ﴿**طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾ قال مجاهد : الطرف الأول:" صلاة الصبح"، والطرف الثاني:" صلاة الظهر والعصر" واختاره ابن عطية. وقيل : الطرفان الصبح والمغرب. ([74]).

الفرع الثاني عشر : وصف الليل بالوسق : قال تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾ ([75]). قال عكرمة رحمه الله : "وما وسق" أي وما ساق من شيء إلى حيث يأوي ، فالوسق بمعنى الطرد ، ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحمر : وسيقة ، قال الشاعر : كما قاف آثار الوسيقة قائف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿**وَمَا وَسَقَ**﴾. **أي:** وما جن وستر. وعنه أيضا: وما حمل ، وكل شيء حملته فقد وسقته ، والعرب تقول : لا أفعله ما وسقت عيني الماء ، أي حملته. ووسقت الناقة تسق وسقا : أي حملت وأغلقت رحمها على الماء، فهي ناقة واسق ، ونوق وساق مثل نائم ونيام ، وصاحب وصحاب ، قال بشر بن أبي خازم: ألظ بهن يحدوهن حتى ... تبينت الحيال من الوساق ([76]).

---

(66) النحل الآية:(120).
(67) البقرة من الآية:(238).
(68) ينظر: شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا - (3 / 233- 234).
(69) المزمل الآية:(6).
(70) راجع الكلام حول ناشئة الليل ص(3).
(71) هود الآياتان:(114-115).
(72) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (5 / 116-117).
(73) هود الآية:(114).
(74) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (9 / 109)، وأحكام القرآن للكيا الهراسى - (2 / 162).
(75) الإنشقاق الآية:(17).
(76) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (19 / 277)

وقيـــل: مـا وسـقه الليـل: النجـوم ؛لأنهـا تظهـر بالليـل.قـال ابـن عاشـور رحمـه الله: "وهـذا المعنـى أنسـب، بعطـف القمـر عليـه" . والـذي أراه أن الله سـبحانه أقسـم بجميـع مـا ضـمه الليـل وأواه، ويشـمل ذلـك الإنسـان والحيـوان، كمـا يشـمل النجـوم والظـلام. إذ أن القسـم بمطلـق الجمـع، والليل يجمع كل هذه الأشياء ([77]).

(77) ينظر: الوقت وأهميته في حياة المسلم - (2 / 16).

أسلوب القسم في اللغة ، طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم ، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين ، أو إزالة شك الشاكين فالقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه([78]) فهنا يقسم المولى بالليل في عدة مواضع .

أما الليل، فقد أقسم الله تعالى به في عدة مواضع، وكان القسم به مقرونا بعدة أحوال، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول : القسم بالليل في حالة إدباره : ذهاب الليل وصفه الله عزوجل بالإدبار قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾** ([79]). والدبر في اللغة نقيض القبل، ودبر كل شيء عقبه ومؤخره ([80]).

وعليه، فإن إدبار الليل يكون مقابل إقباله، وقوله: **﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾** " يعني أن الليل انقلب راجعا من حيث جاء، فانكشف ظلامه، وزال الجهل والريب والشك بانكشافه ([81]).

الفرع الثاني : القسم به في حال العسعسة : لليل إقبال وإدبار كما قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾** ([82]). معنى قوله: عَسْعَسَ بمعنى: أقبل وأدبر، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، فهو من الأضداد والعسعسة والعساس: رقة الظلام، وذلك في طرفي الليل ([83]).

ويمكن الاستئناس باقتران عسعسة الليل مع تنفس الصبح، **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾** ([84]). **﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾** في ترجيح أن يكون المراد بالعسعسة هنا انصرام الليل ؛لأنه مقترن بإقبال النهار من غير فصل ، وهذا أعظم في الدلالة والعبرة، فالآية في انصرام هذا ومجيء الآخر عقيبه.

الفرع الثالث : القسم بالليل وما وسق: إن الليل يجمع ما كان منتشراً في النهار حيث قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾** ([85]).

الوسق: هو جمع الأشياء المتفرقة، مصدر وسقت الشيء أي جمعته وحملته وعلى هذا يكون المعنى: **أي:** ما جمع الليل مما كان منتشرا في النهار من ناس وحيوان، فإنها تأوي في الليل إلى مآويها، حيث جعل الله طلب السكون والراحة في وقت الليل جبلة فيها، وهذا من بديع التكوين، فلذلك أقسم الله به.

وقيل: ما وسقه الليل: النجوم ؛لأنها تظهر بالليل قال ابن عاشور: "وهذا المعنى أنسب، بعطف القمر عليه" ([86]).

---

(78) ينظر: أسلوب القسم - د. سامي عطا حسن (1 / 2).

(79) المدثر الآية:(33).
(80) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (دبر)، ج 4، ص 268 .
(81) ينظر: البقاعي: نظم الدرر، ج 8، ص 234 .
(82) التكوير الآية:(17).
(83) ينظر: الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص 566.
(84) التكوير الآية:(17).
(85) الإنشقاق الآية:(17).
(86) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 227

الفرع الرابع: القسم بالليل في حال سريانه: بعد أن أقسم سبحانه بالليالي العشر على وجه الخصوص بقوله: ﴿**وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ ([87]).

أتبع ذلك بالقسم بالليل على وجه العموم، فقال: ﴿**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ،وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** ﴾ ([88]).

معنى يسري: يمضي سائرا في الظلام. وأصل السرى في اللغة: السير في الليل ([89]).

الفرع الخامس: القسم به في حال الغشيان: وصف الله عزجل الليل بالغشاوة وهي ما يغطى به الشيء كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾ ([90]) وقال: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾([91]).

والغشاوة: هي ما يغطى به الشيء . والضمير في قوله: ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ،وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**﴾ ([92]).

أقسم سبحانه بالليل لكونه جليلا عظيما يسكن الخلق فيه عن الحركة، ويغشاهم النوم الذي فيه راحة الأبدان .

الفرع السادس: القسم بالليل إذا سجى: من آيات الله عزوجل أن جعل الليل يغطي كل شيء فبظلامه يكسن البشر كما قال تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾ ([93])، وقوله: ﴿**سَجَى**﴾ أي سكن، نقول: سجى البحر سجوا بمعنى سكنَ ([94]).

أشار الإمام الرازي – رحمه الله– إلى أن معنى ﴿**سَجَى**﴾ لدى أهل اللغة يدور حول ثلاثة معان متقاربة هي: "سكن، وأظلم، وغطى" ([95]).

---

(87) الفجر الآية:(1-2).
(88) سورة الفجر الآية:(4).
(89) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (سرا)، ج 14، ص 381.
(90) الشمس الآية:(4).
(91) الليل الآية:(1).
(92) الشمس الآية:(1-4).
(93) الضحى الآية:(2).
(94) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، (30، 368).
(95) تفسير الفخر الرازى - (1 / 4769).

المبحث الثالث : ألفاظ تعاقب الليل والنهار

إن الليل والنهار في حركة دائمة فكل في فلكه يسير باتزان ولا يمكن لليل أن يسبق النهار أو النهار يسبق الليل فجعل الله النهار كالجلد الذي يُسلخ من الذبيحة ،فنجد أن الله شبّه الليل بالذبيحة، والنهار جلدها، فإن سُلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل فهو يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذاك ومن ذا في هذا، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث .

الفرع الأول : تكوير الليل: معني يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أي: يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه.

التكوير : لغةً: اللّف والليّ. **واصطلاحاً:** التكوير إرادة الشيء وضم بعضه إلى بعض ك كور العمامة، وأَصله من تَكْوِيرِ العمامة وهو لفها وجمعها وكُوِّرَتِ الشمسُ جُمِعَ ضوءُها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة، ويُكَوِّرُ النهارَ على الليل أَي يُدْخِلُ هذا على هذا وقيل معنى كُوِّرَتْ غُوِّرَتْ ([96]) .

فيكون المعنى : أن كل واحد منهما يغيّب الآخر إذا طرأ عليه ، ويلفه لف اللباس باللابس ، أو : يغيّبه كما يغيب الملفوف باللفافة ، أو : يجعله كاراً عليه كرُوراً متتابعاً ، تتابع أكوار العمامة ، وهذا بيان لكيفية تصرفه تعالى في السموات والأرض بعد بيان خلقهما، وعبّر بالمضارع للدلالة على التجرُّد([97]).

وقال تعالى: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾** ([98]). ([99])، وصف واضح الدلالة على كروية الأرض , وعلى دورانها حول محورها أمام الشمس , وذلك ؛لأن كلا من الليل والنهار عبارة عن فترة زمنية تعتري نصف الأرض في تبادل مستمر , ولو لم تكن الأرض مكورة لما تكور أي منهما , ولو لم تكن الأرض تدور حول محورها أمام الشمس ما تبادل الليل والنهار وكلاهما ظرف زمان وليس جسما ماديا يمكن أن يكور, بل يتشكل بشكل نصف الأرض الذي يعتريه , ولما كان القرآن الكريم يثبت أن الله

---

(96) ينظر: التعاريف - (1 / 203). والمعجم الوسيط - (2 / 804)،و لسان العرب - (5 / 154)

(97) ينظر: البحر المديد - (6 / 366).

(98) الزمر الآية:(5).

(99) 1- يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وتدور الأرض حول الشمس بسرعة 67000 ميل / ساعة.

2كما ثبت ذلك علمياً في القرن العشرين، ولقد أشار القرآن الكريم إلى حركة الأرض في قوله تعالى: **﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾**[سورة النمل: 88]

3- ثبت علمياً (1917م) أن الشمس ومعها كواكبها تدور حول مركز مجرة سكة التبانة بسرعة 497000 ميل / ساعة، أي: أن الشمس لها فلك خاص بها علاوة على فلك الأرض (الليل والنهار) حول الشمس وفلك القمر حول الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: 33].

كما ثبت حديثاً أن الشمس تجري في الفضاء الكوني بسرعة 43000 ميل / ساعة نحو مجم فيجا، لمستقر لها، كما في قوله تعالى:﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (38) [يس : 38].

4- بدأ الفلكي الألماني بازل (1838م) بأول قياس لبعد النجوم، وتبين علمياً الآن أن مواقع النجوم متباعدة ومذهلة، لأنها تبعد عنا مسافة تتراوح بين 4 وعدة بلايين من السنين الضوئية. المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - (6 / 63).

تعالي يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وهما فترتان زمنيتان تعتريان الأرض , فلابد للأرض من أن تكون مكورة , ولابد لها من الدوران حول محورها أمام الشمس ([100]).

<u>الفرع الثاني</u>: إيلاج الليل: والولوج هو الدخول , ولما كان من غير المعقول دخول زمن في زمن آخر , اتضح لنا أن المقصود بكل من الليل والنهار هنا هو المكان الذي يتغشيانه أي الأرض , بمعني أن الله تعالى يدخل نصف الأرض الذي يخيم عليه ظلام الليل بالتدريج في مكان النصف الذي يعمه النهار , كما يدخل نصف الأرض الذي يعمه النهار بالتدريج في مكان النصف الذي تخيم عليه ظلمة الليل , وهو ما يشير إلي كل من كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس بطريقة غير مباشرة , ولكنها تبلغ من الدقة والشمول والإحاطة ما يعجز البيان عن وصفه ([101]).

الولوج لغة: الدخول: يقال وَلَجَ يَلِجُ وُلوجاً ولِجَةً، أي دخل. وأَوْلَجَهُ: أدخلَهُ. **واصطلاحاً:** أي يزيد من هذا في ذاك ومن ذا في هذا. واتَّلَجَ موَالج، أي دخل مداخل، والجمع الوُلُجُ وَلَجٌ وأَوْلاجٌ. وقولهم: رجلٌ خُرَجَةٌ وُلَجَةٌ، أي كثير الخروج والدخول ووَليجَةُ ([102]).

تحدث القرآن الكريم عن الإيلاج في أربع مواضع قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** ([103]).

المشهور في معنى الآية أن الله يزيد في زمن الشتاء مقدارا من النهار ومن النهار في الصيف مقدارا من الليل وتقدير الكلام: يولج بعض مقدار الليل في النهار وبعض مقدار النهار في الليل وعلى غير المشهور يجعل الليل في المكان الذي كان فيه النهار ويجعل النهار في المكان الذي كان فيه الليل والتقدير: يولج الليل في مكان النهار ويولج النهار في مكان الليل([104]).وقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** ([105]).

أَى: يُدْخل الليلَ فى النَّهارِ حتى يكُون النهارُ خَمْسَ عَشَرَة ساعةً، ويولج النَّهارَ فى اللَّيْل حتَّى يكونَ اللَّيْلُ خَمْسَ عَشَرةَ ساعة، والنَّهارُ تسع ساعاتٍ، فما نَقَص من أَحدهما زاد فى الآخَرِ، وفيه تَنْبِيهٌ على ما رَكَّب الله عليه العالَمَ من زِيادة اللَّيلِ فى النَّهارِ وزيادةِ النَّهار فى اللَّيلِ، وذلك بحسب مَطالع الشمس ومغارِبها.والوَلِيجَةُ: كلّ ما يَتَّخِذه الإنسان مُعْتَمَداً([106]).وقوله تعالى: **﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ**

(100) ينظر: بحوث في الإعجاز العلمي في القرآن - (22 / 10).
(101) ينظر: المصدر السابق - (3 / 100).
(102) ينظر: لسان العرب - (2 / 399). الصحاح في اللغة - (2 / 293)
(103) الحج الآية:(61).
(104) ينظر: البرهان في علوم القرآن - (3 / 241).
(105) لقمان الآية:(29).
(106) ينظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - (1 / 1610).

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ([107]). وقوله تعالى: **﴿يولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** ([108]).

<u>الفرع الثالث</u> : غشيان الليل: ظلام الليل عبارة عن غشاء يسري في السماء ولهذا نريد أن نعرف معنى ذلك ، **الغشاوة:** هي ما يغطى به الشيء ويقال: الغِطاءُ غَشَّيْت الشيءَ تَغْشِية إذا غَطَّيْته، والغِشَاوَة: ما غَشّى القَلْبَ ([109]) .

يقال : الغاشية : القيامة ، لأنها تغشى الخلق وقيل : الغاشية النار ، لأنها تغشى وجوه الكفار . وغشاء كل شيء : ما تغشاه ، كغشاء القلب والسرج والرحل والسيف ، ونحوها ([110]).تحدث القرآن الكريم عن غشيان الليل في **مواضع عديدة منها:** قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** ([111]) ([112]).

معنى قوله تعالى: **﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾** ، يجلِّل الليلُ النهارَ فيلبسه ظلمته، والنهارُ الليلَ بضيائه([113]). وقال تعالى: **﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** ([114]).

أي: يغطي سبحانه النهار بالليل، ولما كان المغطى يجتمع مع المُغطي وجودا وذلك لا يتصور هنا قالوا المعنى يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا، ومعنى قوله:﴿ **يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾** أي سريعا ([115]). قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾** ([116]) معنى قوله تغشاها:أي: يغشى الشمس ، فيذهب بضوئها عند سقوطها ؛ قال مجاهد وغيره. وقيل : يغشى الدنيا بالظلم ، فتظلم الآفاق. فالكناية ترجع إلى غير مذكور([117]) ، وقال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾** ([118]) ، أقسم الله سبحانه وتعالى بالليل إذا يغشى يعني حين يغشى الأرض ويغطيها بظلامه، لأن الغشاء بمعنى الغطاء ([119]) .

---

(107) فاطر الآية:(13).
(108) الحديد الآية:(6).
(109) ينظر: المحيط في اللغة - (1 / 415)، ولسان العرب - (15 / 126).
(110) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم - (6 / 32).
(111) الرعد الآية:(3).
(112) ذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى ﴿ **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** ﴾ وقوله :﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ** ﴾[الأعراف : 189 ،] { فلما تغشاها حملت حملا خفيفا } وقوله : ﴿ **وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى** ﴾ [النجم : 53} **﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾** (54) [النجم : 54 ، 55] وقوله : ﴿ **أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [هود : 5] هذا كله فيه إحاطة من كل وجه . وذكر تعالى إنزال النعاس في قوله : ﴿ **ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ** ﴾ [آل عمران : 154] هذا يوم أحد، وقال في يوم بدر : **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ** ﴾ [الأنفال : 11] والنعاس ينزل في الرأس بسبب نزول الأبخرة التي تدخل في الدماغ فتنعقد فيحصل منها النعاس،التبيان في نزول القرآن - (1 / 3)
(113) ينظر: تفسير الطبري - (16 / 329).
(114) الأعراف من الآية:(54).
(115) ينظر: ما دل عليه القرآن - (1 / 47).
(116) الشمس الآية:(4).
(117) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (20 / 74)
(118) الليل الآية:(4).
(119) ينظر: تفسير القرآن للعثيمين - (1 / 30).

الفرع الرابع : انسلاخ الليل من النهار: جعل الله النهار كالجلد الذي يُسلخ،فنجد أن الله شبّه الليل بالذبيحة، والنهار جلدها، فإن سُلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل([120]). قال الله تعالى: **﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾** ([121]).

معنى قوله: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**﴾ إن انسلاخ الشيء عن الشيء أن يبرأ منه ويزول عنه حالا فحالا كذلك انفصال الليل عن النهار والانسلاخ أبلغ من الانفصال لما فيه من زيادة البيان([122]). وقد سبق الحديث حول الانسلاخ .

الفرع الخامس: عدم سبق الليل النهار: إن الليل والنهار في حركة دائمة فكل في فلكه يسير باتزان ولا يمكن لليل أن يسبق النهار أو النهار يسبق الليل وهذا ما نشير إليه هنا قال الله تعالى :**﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** ([123]).

أي كل من الشمس والقمر في فلك خاص به يسبح الدهر كله، والفلك عبارة عن دائرة كفلكة المغزل يدور فيها الكوكب من شمس وقمر ونجم يسبح فيها لا يخرج عنها إذ لو خرج يحصل الدمار الشامل للعوالم كلها، سبحان العليم الحكيم، هذه كلها مظاهر القدرة والعلم والحكمة الإلهية وهي موجبة للتوحيد مقررة له، ولكن المشركين عنها معرضون لا يفكرون ولا يهتدون. ([124]).

النظرة العلمية: يثبت العلم الحديث أنه لا يمكن أن تدرك الشمس القمر ولا يمكن أن يتلاقيا ؛لأن كلا منهما يجرى في مدار مواز للآخر فيستحيل أن يتقابلا؛ لأن الخطين المتوازين لا يتلاقيان أبدا، كما يستحيل أن يسبق الليل النهار ؛لأن ذلك يتطلب من الأرض أن تدور عكس اتجاهها الطبيعي الذي هو من الغرب إلى الشرق، وهو أمر مخالف لناموس الكون والله سبحانه يقول في كتابه العزيز:**﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** ([125]) ([126]). وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** ([127]).

---

(120) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم - (1 / 341)
(121) يس الآية:(37).
(122) ينظر: البرهان في علوم القرآن - (3 / 436).
(123) يس الآية:(40).
(124) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (15 / 32)، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (3 / 410) .
(125) القمر الآية:(49).
(126) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي - (1 / 76-77).
(127) الأنبياء الآية:(33).

المبحث الرابع : قرن الله الليل بالأعداد في مواضع

المتتبع للآيات الشريفة الواردة في القرآن الكريم، والذي تورد ذكر الأعداد المتعلقة بالليل نجد أنها قد توزعت على عدة أقسام على النحو الآتي قوله: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** ([128]) . وقال تعالى: **﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾** ([129]). وقال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾** ([130])، وقوله تعالى: **﴿وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾** ([131]).

فما المقصود بهذه الليالي؟ اختلف في تحديد المراد بها، والراجح في ذلك – وهو ما عليه جمهور المفسرين–: أن المراد بالليالي العشر هو عشر ذي الحجة. وهذا مروي عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف. وهو الذي صححه ابن كثير. ويدل على هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **إن العشر عشر الأضحى** » . ويسانده ما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا : « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه العشر" قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء **﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾** ([132]). ([133]).

{وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} قال ابن عباس ومجاهد ومسروق رضي الله عنهم : هي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة. أمره أن يصوم الشهر وينفرد فيه بالعبادة ؛ فلما صامه أنكر خلوف فمه فاستاك. قيل : بعود خرنوب ؛ فقالت الملائكة : إنا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك. فزيد عليه عشر ليال من ذي الحجة. وقيل : إن الله تعالى أوحى إليه لما استاك : "يا موسى لا أكلمك حتى يعود([134]). ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾** ([135]).

وواعد الله سبحانه وتعالى موسى لمناجاة ربه ثلاثين ليلة، ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليال، فتمَّ ما وَقَّتَه الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة. وقال موسى لأخيه هارون –حين أراد المضيَّ لمناجاة ربه–: كن خليفتي في قومي حتى أرجع، وأحمِلَهم على طاعة الله وعبادته، ولا تسلكْ طريق الذين يفسدون في الأرض. ([136]). ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: **﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾** ([137]).

هي شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة ، وإنما خصّ الليالي بالذكر لأنّ العام بها ، والأيام تابعة لها ، والمراد أربعين ليلة بأيامها([138]).قال تعالى: **﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾** ([139]).

---

(128) القدر الآية:(1).
(129) القدر الآية:(3).
(130) الدخان الآية:(3).
(131) الفجر الآية:(1-2).
(132) الأعراف الآية:(142).
(133) ينظر: الوقت وأهميته في حياة المسلم - (2 / 17).
(134) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (7 / 274)
(135) الأعراف الآية:(142).
(136) ينظر: التفسير الميسر - (3 / 103).
(137) البقرة الآية:(51).
(138) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي - (1 / 35)

فتمَّ ما وَقَّتَه الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة. ([140]).

المبحث الخامس : وصف الله أنبياءه وعباده وبيان حالهم ليلاً

لما كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الأسوة العظمى ، والقدوة المثلى للناس جميعاً، كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أكثر الناس اقتداءاً بهم فكيف كان حالهم، ولماذا كان حال الصحابة لا ينامون؟ ألكونهم يتاجرون؟ أم لكونهم يخافون؟ أم لكونهم يصلون؟! الآيات أفادت وأوضحت الذي أُجمل فقال تعالى:**﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾**([141]) ، فهم لا ينامون لكونهم يقومون ويسجدون فهم يحذرون الآخرة بل كانوا **﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾** ([142]).

الفرع الأول: وصف الله عباده أنهم يسهرون على طاعة الله:قال تعالى: **﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾** ([143]). معنى **﴿يَهْجَعُونَ﴾** ينامون؛ والهجوع النوم ليلا ، والتهجاع النومة ([144]).

الهجوع النوم . وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : وهو الصحيح : أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل ، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء .

الثاني : أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً ([145]).

وقد استوقفت هذه الآية الكريمة الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى، إذ كان الأحنف يقرأ القرآن قراءة المتدبر المتأمل، فلما مر على هذه الآية الكريمة: **﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾**. قال معترفاً: أنا لست من أهل هذه الآية ([146]).

الفرع الثاني : تسبيح الملائكة بالليل والنهار: خص الله عزوجل بعض الأوقات بالأمر بالتسبيح وذلك؛ لأن أفضل الأعمال أدومها لكن من الملائكة ملازمون للتسبيح على الدوام ([147]). قال تعالى : **﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ ﴾** ([148]).

فهذا يدل على أنهم مواظبون على التسبيح ، لا ينفكون عنه لحظة واحدة ، واشتغالهم بهذا العمل على سبيل الدوام يمنعهم من الاشتغال بسائر الأعمال ككونهم ينزلون إلى الأرض كما قال : **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامِينُ﴾** ([149])، وقال : **﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾** ([150]). وقوله تعالى :

---

(139) الأعراف الآية:(142).
(140) ينظر: التفسير الميسر - (3 / 103).
(141) الفرقان الآية:(64-65).
(142) ينظر: سلسلة التفسير لمصطفى العدوي - (الدرس 38 / 15).
(143) الذاريات الآية:(17).
(144) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (17/ 35).
(145) ينظر:التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2149/1).
(146) ينظر:سلسلة التفسير لمصطفى العدوي - (38 / 16).
(147) ينظر:مفاتيح الغيب –للفخر الرازي، (25 / 92).
(148) فصلت الآية:(38).
(149) الشعراء الآية:(193).

﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾([151]) الجواب : إن الذين ذكرهم الله تعالى ههنا بكونهم مواظبين على التسبيح أقوام معينون من الملائكة وهم الأشراف الأكابر منهم ، لأنه تعالى وصفهم بكونهم عنده ، والمراد من هذه العندية كمال الشرف والمنقبة ، وهذا لا ينافي كون طائفة أخرى من الملائكة مشتغلين بسائر الأعمال ([152]).

إن من خلق الله من تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ أو بشغل وهم الملائكة كما قال تعالى: **﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾** ([153]).

معنى قوله تعالى: **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي:** ينزهون الله سبحانه دائما لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون وقيل: يصلون الليل والنهار([154]).

<u>الفرع الثالث</u> : القنوت والسجود في الليل : هناك فرق بين العامل بطاعة اللّه وغيره، وبين العالم والجاهل ، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعُلم علما يقينا تفاوتها، فليس المُعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت ([155]) وهذا ما تقرره الآية الكريمة في قوله تعالى: **﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ([156])، اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** ([157]).

قوله تعالى : **﴿أَمَّ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ، اللَّيْلِ﴾** يعني: ساعات الليل في الصلاة، **﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾** يعني: في الصلاة، **﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾** يعني: يخاف عذاب الآخرة،**﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾** يعني: مغفرة الله تعالى.

القنوت في اللغة: يعني لُزُومُ الطَّاعَةِ مع الخُضوع ([158]) والمصلى إذا طال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت في ذلك كله قال تعالى **﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ، اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾** ([159]) فجعله قانتا في حال السجود والقيام.

وفي الحديث الصحيح سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أي: الصلاة أفضل فقال: **(طول القنوت)** ([160]) ولم يرد به طول القيام فقط بل طول القيام والركوع والسجود كما كانت صلاة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم معتدلة إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وهكذا.

قال تعالى :﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ ([161]) . وقال تعالى: **﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾** ([162])، وقال تعالى: **﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا**

---

(150) الحجر الآية:(51).
(151) التحريم من الآية:(6).
(152) ينظر: تفسير الفخر الرازي، (3946/1).
(153) الأنبياء الآيتان:(19-20).
(154) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام الشوكاني، (575/3).
(155) ينظر: تفسير السعدي - (1 / 720).
(156) الآناء جمع أنىً أمعاء ومعىً، وأقفاء وقفىً والأنى الساعة. ينظر: لسان العرب - (14 / 48).
(157) الزمر الآية:(9).
(158) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس - (5 / 47).
(159) الزمر الآية:(9).
(160) أخرجه مسلم - (2 / 175)برقم:(1804) - باب أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ.

مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾ ([163])، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾** ([164]) وسمى إطالة القيام في الصلاة قنوتا لأنه يطيل فيه الطاعة ولو صلى قاعدا لقنت وهو قاعد وكذلك إذا صلى على جنب قنت وهو على جنب، والقيام قبل الركوع يسمى أيضا قنوتا.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه تلا هذه الآية **﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ، اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾** قال : " ذاك عثمان بن عفان " رضي الله عنه([165]).

وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان، وفي قوله تعالى **(يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ)** عن ابن عباس رضي الله عنهما: "يحذر عذاب الآخرة" ([166]).

<u>الفرع الرابع</u> : الآيات التي تحث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على العبادة ليلاً :

من عجيب حكمته وجليل آياته أن الله سبحانه وتعالى أيد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوة وعظمة تتجلى في سيرته وسِيرِهِ وفي سنته وفي كتابه فمما يجلي ذلك أوامر الله سبحانه لرسوله بأن يعبده ليلاً وسوف نستعرض ذلك من خلال ما يأتي:

1. أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يسبح من الليل قال تعالى : **﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾** ([167]).

أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في هذه الآية أن يلتزم الصبر ويقرنه بالتسبيح في معظم أوقاته ، **﴿وَمِنْ ءَانآءِ اللَّيْلِ﴾** . . ساعاته ، وأحدها إنىً ، وفيه وجهان :

أحـــدهما : هي صلاة الليل كله ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

الثـــــاني : هي صلاة المغرب والعشاء والآخرة . ومعنى قوله تعالى:**﴿أَطْرَافِ النَّهَارِ﴾** فيه وجهان:

أحـــدهما : صلاة الفجر ؛لأنها آخر النصف الأول ، وأول النصف الثاني. قاله قتادة رضي الله عنه.

الثـــــاني : أنها صلاة التطوع ، قاله الحسن رحمه الله ([168]).

---

(161) النحل الآية:(120).
(162) النساء الآية:(34).
(163) التحريم من الآية:(5).
(164) الأحزاب من الآية:(35).
(165) ينظر: أسباب النزل ، للشيخ الواحدي، (277/1).
(166) بحر العلوم - (3 / 171).
(167) طه الآية:(130).
([168]) ينظر: تفسير الماوردى - النكت والعيون - (3 / 432).

2. أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يتهجد في الليل ويقيم الصلاة . قال تعالى :﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ ([169]).

معنى قوله تعالى : ﴿**لِدُلُوكِ الشَّمْسِ**﴾ وهو زوالها عن كبد السماء على التحقيق إلى صلاة الظهر والعصر؛ وأشار بقوله: ﴿**إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾ وهو ظلامه إلى صلاة المغرب والعشاء؛ وأشار بقوله: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**﴾ إلى صلاة الصبح ، وعبر عنها بالقرآن بمعنى القراءة قرن فيها من التعبير عن الشيء بإسم بعضه.وقال تعالى : ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ،وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾([170])([171]).

معنى قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾ لم يختلف أحد من أهل التأويل في أن الصلاة في هذه الآية يراد بها : الصلوات المفروضة ؛ وخصها بالذكر ؛ لأنها ثانية الإيمان ، وإليها يفزع في النوائب ؛ وكان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

قوله تعالى : ﴿**طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾ قال مجاهد : الطرف الأول:" صلاة الصبح" ، الطرف الثاني: صلاة الظهر والعصر واختاره ابن عطية. وقيل : الطرفان:" الصبح والمغرب" قوله: ﴿**وَزُلَفًا**﴾ من الليل: "المغرب والعشاء". ([172]).

3. أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يسبح ليلاً ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ،وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**﴾ ([173]).

في معنى قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**﴾ ثلاثة أقوال:

<u>الأول</u> : أنها صلاة الليل كله **أي**: وقت صلى منه، قاله مجاهد رحمه الله .

<u>والثاني</u> : صلاة العشاء، قاله ابن زيد رحمه الله .

<u>والثالث</u> : صلاة المغرب والعشاء قاله مقاتل رحمه الله ([174]). معنى قوله تعالى: ﴿**وَأَدْبَارَ السُّجُود**﴾ **أي**: أعقاب الصلوات ، جمع : دبر ، ومَن قرأ بالكسر ، فمصدر ، من : أدبرت الصلاة : انقضت ، **ومعناه** : وقت انقضاء الصلاة.

([169]) الإسراء الآية:(78-79).
(170) هود الآية:(114-115).
(171) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (5 / 116-117).
(172) ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسى - (2 / 162).
(173) ق الآية:(39-40).
(174) ينظر: زاد المسير - (8 / 23).

وقيل : المراد بالتسبيح : الصلوات الخمس ، فالمراد بما قبل الطلوع : صلاة الفجر ، وبما قبل الغروب : الظهر والعصر ، وبما من الليل : المغرب والعشاء والتهجُّد ، وبأدبار السجود : النوافل بعد المكتوبات ([175]).

4. وقال تعالى : ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا** ﴾ ([176]). معنى قوله تعالى:﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ**﴾ يعني : صلاة المغرب والعشاء الآخرة. ﴿**وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**﴾ يعني التطوع في الليل ؛ قاله ابن حبيب. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسفيان رحمه الله : كل تسبيح في القرآن فهو صلاة([177]).

5. وصف الله كل تسبيح في القرآن يخص نبيه أنه يقوم الليل فقال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ ([178]).

معنى قوله تعالى : ﴿**أَدْنَى**﴾ أقل، استعير له الأدنى ؛لأن المسافة بين السنين إذا دنت قل ما بينهما ﴿**وَنِصْفَهُ**﴾ معطوف على أدنى، ﴿**وَثُلُثَهُ**﴾ معطوف على نصفه، والمعنى : أن الله يعلم أن رسوله صلى الله عليه وآله صحبه و سلم يقوم: أقل من ثلثي الليل، ويقوم نصفه، ويقوم ثلثه، وبالنصب قرأ ابن كثير والكوفيون، وقرأ الجمهور ﴿**وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهُ**﴾ بالجر عطفا على ثلثي الليل والمعنى : أن الله يعلم أن رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه و سلم يقوم أقل من ثلثي الليل، وأقل من نصفه، وأقل من ثلثه، واختار قراءة الجمهور أبو عبيد وأبو حاتم لقوله : ﴿**عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ**﴾ ([179]).

<u>الفرع الخامس</u> : ذكر الله أهل الكتاب من المؤمنين منهم: تبين الآيات الشريفة أنهم يتلون آيات الله ليلاً وإن هذا الدين تخضع له الأمة بأسرها لما فيه من الحجج والبينات فبين الله طائفة من أهل الكتاب أنها آمنت به ويتلون كتاب الله آناء الليل وهذا ما سنبينه هنا. قال تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾ ([180]). معنى قوله تعالى:﴿**أمةٌ قَائِمَةٌ**﴾ فيه ثلاث تأويلات :

الأول : عادلة ، وهو قول الحسن ، وابن جريج رحمهما الله .

والثاني : قائمة بطاعة الله ، وهو قول السدي رحمه الله .

والثالث: يعني ثابتة على أمر الله تعالى ، وهو قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع رحمهما الله تعالى

ومعنى قوله تعالى: ﴿ **يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللهِ ءَانآءَ اللَّيْلِ**﴾ فيه قولان:

أحدهما : ساعات الليل ، وهو قول الحسن ، والربيع رحمهم الله .

والآخر : جوف الليل ، وهو قول السدي .

واختلف في المراد بالتلاوة في هذا الوقت على قولين :

أحدهما : صلاة العَتَمَة ، وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

---

(175) ينظر: البحر المديد - (7 / 286).
(176) الإنسان الآية:(26).
(177) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (19 / 150).
(178) المزمل من الآية:(20).
(179) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - (5 / 450).
(180) آل عمران الآية:(131).

والآخر : صلاة المغرب والعشاء ([181]) .

المبحث السادس : استخدام الليل في الإنفاق في سبيل الله وفي الدعوة إلى الله

إن من عباد الله من يعمرون الأوقات والأحوال بالخير والصدقة فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال، ومن الناس من يمتثل لأمر الله فيدعوا الله في كل وقت وحين من الليل أو من النهار سراً وجهراً وهذا ما نشير إليه هنا.

الفرع الأول : الإنفاق في الليل: كما قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** ([182]).

قال الإمام الشوكاني: رحمه الله تعالى:"الإنفاق بالليل والنهار دليل زيادة رغبتهم في الإنفاق وشدة حرصهم عليه حتى أنهم لا يتركون ذلك ليلا ولا نهارا ويفعلونه سرا وجهرا وعند أن تنزل بهم حاجة المحتاجين ويظهر لديهم فاقة المفتاقين في جميع الأزمنة على جميع الأحوال"([183]).

فنخلص إلى أن الإنفاق من كمال الإيمان وحسن الإسلام، فهو دليل حسن الظن بالله والثقة به، ولإنفاق سبب لنيل حب الله – عز وجل – وحب الخلق والإنفاق سبب بركة المال ونمائه ووقاية للإنسان من المصائب والبلايا ، كما أن الإنفاق دليل الطبع السليم والأريحية الكريمة ومدعاة لنصرة الله عز وجل.

الفرع الثاني : الدعوة إلى الله ليلاً : الدعوة إلى الله جل وعلا مقام عظيم وشرف كبير ومنزلة رفيعة عالية اختص الله جل وعلا بها الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام ومن سار على نهجهم في هذا السبيل من عباد الله الصالحين، لهذا قصّ الله جل وعلا في القرآن سير الأنبياء وسير المرسلين عليهم الصلاة والسلام منبها إلى أنهم كانوا دعاة إلى الله جل وعلا([184])، ولهذا قال تعالى عن نبي الله نوح عليه السلام **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾** ([185]).

قال الماوردي: فيه وجهان :

أحدهما : دعوتهم ليعبدوك ليلاً ونهاراً

الآخر : دعوتهم ليلاً ونهاراً إلى عبادتك ([186]).

قال الفراء حول قوله تعالى: ﴿**دَعَوْتُ**﴾: **أي** : من كل وجه وفي كل زمان أمكنت فيه الدعوة من ليل أو نهار**﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾** ([187]) أي : فرارا من الإيمان ([188]).

(181) ينظر: تفسير الماوردى - النكت والعيون - (1 / 417).
(182) البقرة الآية:(174).
(183) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - (1 / 443).
(184) ينظر: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى - (8 / 162).
(185) نوح الآية:(5-6).
(186) ينظر: تفسير الماوردى - النكت والعيون - (6 / 100).
(187) نوح الآية:(6).
(188) ينظر: تفسير السمعاني - (6 / 54).

إذاً نوح عليه السلام أول الرسل عليهم الصلاة والسلام وصفه الله جل وعلا بأنه دعا إليه، وأنه بذل الليل والنهار والجهار والسر الجهار يعني أن يدعو الناس في ملأ بكلمة عامة ويحض بحض عام على اختلاف أنواع الناس– أو سرا قال العلماء معناه أن يكون بينه وبين شخص واحد إذا لقيه فإنه يدعوه ليس على ملأ ولكن بينه وبينه، فنوع ذلك من جهة الزمان في الليل والنهار، ومن جهة الطريقة الجهر والإسرار، ومن جهة المخاطبين أيضا، وذكر الفضل، وهذا يحرك الهمة لمن عنده رغب في أن يكون من الدعاة إلى الله جل وعلا؛ يعني أن الطريق ليست واحدة، وأن هذا للمرء فيه قدوة فيما يأتي وفيما يذر([189]).

المبحث السابع : السير ليلاً

المتتبع لآيات القرآن الكريم التي ذكرت في الإسراء سيجد أنه اقترن بالليل، وفيما يأتي بعض تلك الآيات قال تعالى: **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** ([190]). وقال سبحانه : **﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾** ([191]).وقال سبحانه وتعالى : **﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾** ([192]). وقال سبحانه: **﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾** ، ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أمر نبيه لوطاً عليه السلام أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولم يبين هنا هل هو من آخر الليل، أو وسطه أو أوله، ولكنه بين في سورة "القمر" أن ذلك من آخر الليل وقت السحر، وذلك في قوله تعالى : **﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾** ولم يبين هنا أنه أمره أن يكون من ورائهم وهم أمامه، ولكنه بين ذلك في قوله تعالى : **﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾** ([193]). معنى قوله تعالى: **﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾** بطائفة من ، **﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾** ([194]) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بطائفة من الليل. وقال الضحاك : ببقية من الليل. وقال قتادة : بعد مضي صدر من الليل. وقال الأخفش : بعد جنح من الليل. ابن الأعرابي : بساعة من الليل. وقيل : بظلمة من الليل. وقيل : بعد هدء من الليل. وقيل : هزيع ([195]).

---

(189) ينظر: الدعوة إلى الله فضلها وثمراتها - (1 / 9).
(190) الإسراء الآية:(1).
(191) الدخان الآية:(23).
(192) هود الآية:(81).
(193) الحجر الآية:(65-66).
(194) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (12 / 49). والبحر المديد - (3 / 316).
(195) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (9 / 79).

القسم بالليل في حال سريانه قال تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ ([196]) بعد أن أقسم سبحانه بالليالي العشر على وجه الخصوص. بقوله: ﴿ **وَالْفَجْرِ** ﴾ ﴿**وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ أتبع ذلك بالقسم بالليل على وجه العموم، فقال: ﴿**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾ ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ .

ومعنى يسري: يمضي سائرا في الظلام. وأصل السرى في اللغة: السير في الليل . فشبه تقضي الليل في ظلامه بسير السائر في الظلام.

كما وصف الله عزوجل الشمس والقمر أنهما يسيران في فلك عجيب كما قال تعالى : ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ ([197]). وقال في موضع آخر ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ ([198])

المبحث الثامن : الليل عبر وآيات

إن في خلق السموات بارتفاعها واتساعها, والأرض بجبالها وسهولها وبحارها, وفي اختلاف الليل والنهار من الطول والقصر, والظلمة واالنور, وتعاقبهما بأن يخلف كل منهما الآخر, وفي السفن الجارية في البحار, التي تحمل ما ينفع الناس, وما أنزل الله من السماء من ماء المطر, فأحيا به الأرض, فصارت مخضرَّة ذات بهجة بعد أن كانت يابسة لا نبات فيها, وما نشره الله فيها من كل ما دبَّ على وجه الأرض, وما أنعم به عليكم من تقليب الرياح وتوجيهها, والسحاب المسيَّر بين السماء والأرض –إن في كل الدلائل السابقة لآياتٍ على وحدانية الله, وجليل نعمه, لقوم يعقلون([199]) .

الفرع الأول : اختلاف الليل والنهار : بين جل وعلا في كتابه أن له اختلاف الليل والنهار، يعني: أن ذلك هو الفاعل له وهو الذي يذهب بالليل ، ويأتي بالنهار، ثم يذهب بالنهار ويأتي بالليل، واختلاف الليل والنهار، من أعظم آياته الدالة على كما قدرته، ومن أعظم مننه على خلقه ([200]).فقال تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ ([201]). وقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ**﴾ ([202]).

وقد قيل : إن سبب نزولها أن أهل مكة سألوا آية فردهم إلى تأمل مصنوعاته والنظر فيها ؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما **ومعنى قوله تعالى : ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾** أي الشرك ؛ فأما من أشرك فليست الآية له آية ([203]). وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ**

(196) الفجر الآية:(4).
([197]) يس الآية:(40).
([198]) الأنبياء الآية:(70).
(199) ينظر: التفسير الميسر - (1 / 49).
(200) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (26 / 85).
([201]) المؤمنون الآية:(80).
(202) يونس الآية:(6).
(203) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (8 / 311).

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ([204]) .وقال تعالى : **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** ([205]) .

المراد من قوله : " **﴿لِقَومٍ يعقلَونَ﴾ أي :** لقوم يتفكَّرون ويتأملون ، ويستدلون بالمحسوس على المعقول ([206]) . وقال تعالى:**﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** ([207]) .

إن في اختلاف الليل والنار وتعاقبهما عليكم وما أنزل الله من السماء من مطر، فأحيا به الأرض بعد يُبْسها، فاهتزت بالنبات والزرع ، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلةٌ وحججٌ لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته الواضحة الجلية لكل ذي لب ([208]).

وقوله تعالى:**﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾** ([209]). معنى قوله تعالى:**﴿خِلْفَةً﴾** ما فات في أحدهما: قضي في الآخر ، أو يختلفان ببياض أحدهما: وسواد الآخر ، أو يخلف كل واحد منهما الآخر بالتعاقب ﴿**يَذَّكَّرَ** ﴾ يصلي بالليل صلاة النهار ، وبالنهار صلاة الليل ([210]). وقال تعالى: **﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾** ([211]).

إن التأمل في تقلب الليل والنهار بهذا النظام الذي لا يختل ولا يفتر يوقظ في القلب الحساسية وتدبر الناموس الذي يصرف هذا الكون والتأمل في صنع الله تعالى ([212]).

معنى قوله تعالى: **(يُقَلِّبُ)** يصرفهما في اختلافهما ويعاقبهما **﴿إِنَّ فِي ذلك﴾** الذي ذكرت من هذه الأشياء **﴿لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأبصار﴾** لذوي العقول ([213]).

وجاء في معناها: أي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل ([214]).

<u>الفرع الثاني</u> : تسخير الليل والنهار : إن الله سبحانه وتعالى سخر لخلقه الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والنجوم ففيها من عظيم نعمته ما لا يعلمه إلا هو، وفيها الدلالات الواضحات لأهل العقول على أنه الواحد المستحق ؛لأن يُعبد وحده([215]). ومعنى قوله تعالى: **﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾** ([216]). **أي:** وَسَخَّرَ لِلنَّاسِ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ ، يَسِيرَانِ دَائِمَيْ الحَرَكَةِ **﴿دَائِبَيْنِ﴾** ،

---

(204) البقرة الآية:(164-165).
(205) آل عمران الآية:(190).
(206) ينظر: اللباب في علوم الكتاب - (8 / 314).
(207) الجاثية الآية:(5).
(208) ينظر: التفسير الميسر - (9 / 95).
(209) الفرقان الآية:(62).
(210) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام - (1 / 774).
(211) النور الآية:(44).
(212) ينظر: في ظلال القرآن - (5 / 287).
(213) ينظر: تفسير الثعلبي - (1 / 1605).
(214) ينظر: تفسير الخازن - (5 / 83).
(215) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (17 / 30).
(216) إبراهيم الآية:(33).

لاَ يَفْتُرَانِ ، لَيْلاً وَلاَ نَهَاراً ، وَسَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَاقَبَانِ ، وَيَتَفَاوَتَانِ طُولاً وَقِصَراً ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً ، وَالنَّهَارَ مَعَاشاً لَهُمْ .

معنى قوله تعالى: **﴿دَائِبَيْنِ﴾ أي** : دَائِمَيْنِ فِي حَرَكَتِهِمَا وَمَنَافِعِهِمَا لَكُمْ ([217]). وقال تعالى: **﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾** ([218]) .

وسخَّر لكم الليل لراحتكم، والنهار لمعاشكم، وسخَّر لكم الشمس ضياء، والقمر نورًا ولمعرفة السنين والحساب، وغير ذلك من المنافع، والنجوم في السماء مذللات لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، ونضج الثمار والزروع، والاهتداء بها في الظلمات. إن في ذلك التسخير لَدلائلَ واضحةً لقوم سيعقلون عن الله حججه وبراهينه ([219]) .

<u>الفرع الثالث</u> : النوم بالليل آية من آياته : مثال النوم كالموت والانتشار في النهار لطلب الرزق كالبعث بعد الموت فهذه عملية للبعث بعد الموت تتكرر كل يوم وليلة في هذه الحياة الدنيا، إن في ذلك المذكور من النوم والانتشار لطلب الرزق لدلائل وحجج على قدرة الله على البعث فهو نداء الحق والعقل يدعوهم إلى الإيمان بالبعث ([220]).

قوله تعالى:**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** ([221]) .

في هذه الآية تقديم وتأخير ، **والمعنى** : ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار ؛ فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه ، والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة ؛ فجعل النوم بالليل دليلا على الموت ، والتصرف بالنهار دليلا على البعث. **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** ([222]) . كما أن الليل والنهار آية من آياته سبحانه عزوجل كما قال تعالى:**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** ([223]) .

جعل الليل والنهار آيتين عظيمتين قال تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾** ([224]).

قوله تعالى: **﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي** : علامتين تدلان على قدرة خالقهما ﴿**فَمَحَوْنَا**﴾ طمسنا ﴿**آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ نورها بما جعلنا فيها من السواد ﴿**وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ مضيئة يبصر فيها

(217) ينظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 1784).
(218) النحل الآية:(12).
(219) ينظر: التفسير الميسر - (4 / 386).
(220) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (4 / 171) .
(221) الروم الآية:(23).
(222) ينظر: الجامع لأحكام القرآن - (14 / 18) .
(223) فصلت الآية:(37).
(224) الإسراء الآية:(12).

﴿**لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم ﴿**وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** ﴾ بمحو آية الليل ولولا ذلك ما كان يعرف الليل من النهار وكان لا يتبين العدد ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ**﴾ مما يحتاج إليه ﴿**فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا**﴾ بيناه تبيينا لا يلتبس معه بغيره([225]).

<u>الفرع الرابع</u> : انسلاخ الليل : بين الله عز وجل ظاهرة تعاقب الليل والنهار وتداول كل منهما بعملية السلخ كما تسلخ الذبيحة،فقال تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾ ([226]). السَّلْخُ كُشْطُ الإهابِ **أي**: يَسْلُخه ويَسْلَخه سَلْخاً كَشَطه والسَّلْخُ ما سُلِخَ عنه([227]). والسلخ: نزع جلد الحيوان، يقال: سلخته فانسلخ، وعنه استعير: سلخت درعه: نزعتها، وسلخ الشهر وانسلخ، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ**﴾ ([228]). وقال تعالى: ﴿**نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**﴾ .أي : ننزع ، وأسود سالخ، سلخ جلده، أي: نزعه، ونخلة مسلاخ: ينتثر بسرها الأخضر([229]) .

ووجه دلالته أنه يوافق ما كشف عنه العلم الحديث من أن الأصل فيما يحيط الأرض هو الليل (الظلام)، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، فإذا دارت الأرض، سُلِخت حالة النهار الرقيقة التي كونتها انعكاسات أشعة الشمس.. فيحدث بهذا الدوران سلخ النهار من الليل([230]).

<u>الفرع الخامس</u> : التوفي بالليل : شبه الله عزوجل النوم بالتوفي وهو الموت فقال تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾([231]).

ذكر الله عزوجل في هذه الآية الكريمة أن النوم وفاة، وأشار في موضع آخر إلى أنه وفاة صغرى وأن صاحبها لم يمت حقيقة، وأنه تعالى يرسل روحه إلى بدنه حتى ينقضي أجله، وأن وفاة الموت التي هي الكبرى قد مات صاحبها، ولذا يمسك روحه عنده، وذلك في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ ([232]).

---

(225) ينظر: الوجيز للواحدي - (1 / 629).
(226) يس الآية:(37).
(227) ينظر: لسان العرب - (3 / 24).
(228) التوبة من الآية:(5).
(229) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ نسخة محققة - (1 / 490).
(230) ينظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - (6 / 188).
(231) الأنعام الآية:(60).
(232) الزمر الآية:(42).

قد يكون أمن مكر الله سببا من الأسباب التي توقع في التسويف، إذ الإنسان مجبول على المبادرة والإسراع بأداء ما يُطلب منه عندما يخاف، وعلى التواني والتفريط إذا أمن، ولقد أشار رب العزة والجلال إلى عقوبات قد تأتي في الليل وقد تواجه الإنسان في أكثر مجالات حياته إن هو استمر في معصيته لله تعالى.

الفرع الأول : الليل مظنة خروج الحيوانات الضارة : ونلاحظ ذلك كما قال تعالى: **﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾** ([233]) ([234]). أي يستعيذ من الغاسق وهو الليل إذا أظلم والقمر إذا غاب إذ الظلام بدخول الليل أو بغياب القمر يكون مظنة خروج الحيات السامة والحيوانات المفترسة والجماعات المتلصصة للسطو والسرقة وابتغاء الشر والفساد([235]).

ويبين الله عزوجل في موضع آخر أن العقاب قد يأتي ليلاً كما حصل للأرض التي إزَّينت وأصبحت مخضرة **﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** ([236]). قوله تعالى: **(أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا)** ، يقول: جاء الأرض "أمرنا" ، يعني : قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلا وإما نهارًا (فجعلناها)، يقول: فجعلنا ما عليها (حصيدًا) يعني: مقطوعة مقلوعة من أصولها ([237]). وقال تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾**([238]) .

الفرع الثاني : استغلال أوقات الليل في المكر والخديعة والتضليل : وهنا حدث للنفوس الضعيفة التي تسخر أوقاتها من ليل أو نهار لسماع الصد عن ذكر الله عزوجل فهنا يحصل الندم وتحل العقوبة كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ([239]) .

المكر في اللغة الاحتيال والخديعة يقال مكر به يمكر فهو ماكر ومكار.والمكر: إظهار الطيب وإبطان الخبيث ، وهو الخديعة . وقد بين جل وعلا أن المكر السيىء لا يرجع ضرره إلا على فاعله؛ وذلك في قوله: ﴿ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ([240])([241]).

---

(233) الفلق الآية:(3).
(234) ينظر: آفات على الطريق لمحمد نوح - (3 / 77).
(235) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (5 / 630).
(236) يونس من الآية:(24).
(237) ينظر: تفسير الطبري - (15 / 56).
(238) يونس الآية:(50).
(239) سبا الآية:(33).
(240) فاطر من الآية:(43).
(241) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (4 / 323).

الفرع الثالث : أهلك الله كثيراً من القرى ليلاً أو قيلولةً : من فضل الله على عباده أنه جل وعلا يمهل ولا يهمل فكل من عصى وعمي عن الآيات البينات لا بد من عقوبة من الله إن استمر على ذلك، فكثيراً من القرى لا تؤمن بالله فيحصل العقاب إما ليلاً أو نهاراً كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ([242]). خوف الله تعالى في هذه الآية الكريمة الكفار الذين كذبوه صلى الله عليه وسلم، بأنه أهلك كثيراً من القرى بسبب تكذيبهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمنهم من أهلكها ﴿بَيَاتاً﴾ ، أي: ليلاً، ومنهم من أهلكها و﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾، أي: في حال قيلولتهم، والقيلولة: الاستراحة وسط النهار. يعني: فاحذروا تكذيب رسولي (صلى الله عليه وسلم) لئلا أنزل بكم مثل ما أنزلت بهم([243]).

الفرع الرابع : إتيان العذاب ليلاً أو وقت النوم : أيظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن من عذاب الله، أن يأتيهم ليلا وهم نائمون([244]) . ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ، أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ([245]) .

المُرَادُ أَنَّهُم جاءهم العذابُ على حين غَفْلَةٍ منهم ، من غير تقدُّم أمارة تدلُّهم على نزول ذلك العذاب مكانه ، قيل لِلْكُفَّارِ : لا تغتروا بأسباب الأمْنِ والرَّاحةَ ، فإنَّ عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق أمارة . ([246]) .

قال تعالى عن أصحاب الجنة عندما حلت بهم العقوبة ليلاً وهم نائمون كما قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾([247]) فَأَحَاطَ أَمْرُ رَبِّكَ بِتِلْكَ الجَنَّةِ لَيْلاً ، وَهُمْ نَائِمُونَ ([248]). وشبه الليل بالصريم من شدة السواد والظلمة قال تعالى: فأصبحت كالصريم، **أي**: كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد([249]) .

من عظيم رحمة الله تعالى أنه لم يجعل الليل هو الذي يسيطر إلى يوم القيامة ولكن جعل تعاقب الليل والنهار متلازمان ، ولو كان الليل دائم لكانت عقوبة من الله على عبادة ولكنه صرف هذه العقوبة عن العباد مما يوجب عليهم الحمد والثناء على الله تعالى كما قال تعالى عن ذلك : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾([250]).

أي: دائما ليلاً واحداً متصلا لا يعقبه نهارٌ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أخبروني هل هناك ﴿إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ كضياء النهار، والجواب: لا أحد وقل لهم أيضاً ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ

---

(242) الأعراف الآية:(3).
(243) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (8 / 6).
(244) ينظر: التفسير الميسر - (3 / 58).
(245) الأعراف الآية:(97-98).
(246) ينظر:اللباب في علوم الكتاب - (9 / 17).
(247) القلم الآية:(19-20).
(248) ينظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 168) .
(249) نفس المرجع - (5 / 410)
(250) القصص الآية:(71-72).

سَرْمَدا﴾ أي دائماً متصلاً لا يخلفه ليل أبداً ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ أي أيُّ إله غير الله ﴿يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ فتخلدون إلى الراحة بالنوم والسكون وعدم الحركة فيه ([251]).

<u>الفرع الخامس</u> : شبه من يقترف السيئة بظلمة الليل : وقد شبه الله تعالى مقترف السيئة بظلمة الليل كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ([252]).

أي : يحشرون مسودة وجوههم ، كأنما أُكْسِيَتْ وجوههم قطْعاً كثيرة من الليل المظلم ، أو قطْعاً مظلماً من الليل فهو تصوير بديع للظلام الحسي والمعنوى الذى يبدو على وجوه هؤلاء الظالمين . **أى** : كأنما ألبست وجوههم قطعا من الليل المظلم ، والسواد الحالك ، حتى سارت شديدة السود واضحة الكدرة والظلمة ([253]) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مستيقظون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخوضون وبخضوعه إذا الناس يختالون وبحزنه إذا الناس يفرحون ([254]).

(251) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (4 / 96). والتفسير الميسر - (7 / 105).
(252) يونس الآية:(26).
(253) ينظر: المفردات في غريب القرآن - (1 / 507). والبحر المديد - (3 / 214).
(254) ينظر: آفات على الطريق لمحمد نوح - (3 / 77).

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

وبعد:

تأتي هذه الخاتمة لهذا البحث عن " الليل في القرآن الكريم" ، لتضع القارئ الكريم أمام خارطة واضحة عن أهمية الليل في حياة الإنسان، الذي ينبغي لكل مسلم الاستفادة منه ليلقى الله تعالى، وهو راض عنه سبحانه عنه وتعالى.

وقد خرجت من هذا البحث ببعض التوصيات التي لا بد لي أن أذكر القارئ الكريم بها ومنها :

1. ضرورة الاهتمام بهذا الوقت الثمين الذي يمثل شطر حياة الإنسان من ولادته حتى مماته.

2. الاقتداء بالأنبياء والرسول الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى رأسهم نبينا وحبيبنا واسوتنا وقدوتنا العظيم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الذي كان كثير القيام لربه ، والوقوف بين يديه، ولا سيما في الليل كما أوضحتُ ذلك في المبحث الخامس .

3. الاستفادة من الأوقات التي يعيشها الإنسان ، ولا سيما في الليل والوقوف قدر المستطاع بين يدي الله سبحانه وتعالى لينجو العبد من عذاب الله تعالى ، فرأسمال العبد هو عمره .

4. الاقتداء كذلك بالأنبياء والرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدعوة إلى الله تعالى ، ولاسيما مع دخول وسائل التكنولوجيا الحديثه في حياة المسلمين اليوم ، من وسائل التواصل الاجتماعي من (فيسبوك ، وكمبيوتر، ..الخ) والسعي لإنقاذ البشرية من التيه والضياع الذي تعيشه في البعد عن الله تعالى ، ويمثل الليل وقتاً مثالياً لذلك في هذا الزمان.

5. أخذ العظة ، والعبرة من أحوال الأمم السابقة التي عصت الله تعالى فجعل لها سبحانه وتعالى العقوبة ، وإنزالها ليلاً ، ولا سيما حال مما رستها ، فمعظم الذي اهلكهم الله من الأمم الماضية كان العذاب ينزل عليهم ليلاً كما في المبحث التاسع، واكتفى بهذا التوصيات لعلها تكون فاتحة خير لي ، ولأبناء المسلمين أجمعين ، بل لجميع الخلق الذين أحب لهم الخير ، وأسأل الله تعالى أن يجعل ما ورد في هذا البحث المأخوذ من كتاب الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم ، وفاتحة خير لي ، ولمن قرأ أو وقف على ما فيه من المعلومات التي أردت من خلالها لفت أنظار الناس أجمعين ، ولاسيما اخواني المسلمين أينما كانوا ، وحيثما حلوا إلى ضرورة الإنتباه لهذا الوقت الثمين الذي يهدد الكثير أمام وسائل الاعلام المختلفة ، وربما لو قضوا ربع ذلك الوقت بين يد ي الله عزوجل لكان أجدى لهم وأنفع من ضياع أوقاتهم بل ربما قضو أعمارهم أمام وسائل الترفيه الاعلامية المختلفة التي وقد يفارقون الدنيا أمامها وهم على أسوء حال والعياذ بالله كذلك الشاب الذي أغلق غرفته على نفسه ليشاهد فِلماً إباحياً ، فأدركته الوفاة وهو على أسوء

حـال والعيـاذ بـالله ، والحمـد لله أولاً وأخيـراً ، وصـلى الله وسـلم علـى سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصـحبه أجمعين .

اليمن . صنعاء . الباحث ، صالح قاسم أحمد الخمري . كلية التربية . خولان . جامعة صنعاء .